الوحدة الإسلامية ودورها في تحقيق التنمية

إن الأخوة الإسلامية هي القومية التي تجمع المسلمين ـ إذا كان ولابد من استخدام لفظ القومية ـ غير أنها تزيد عن القومية أنها عنصر إيجابي لا سلبي، بمعنى أن الأخوة الإسلامية تتطلب أن يعبر عنها في شكل تنظيمي معين، بينما «القومية» لا تتطلب ذلك، ويمكن أن تكون موجودة وجوداً واقعياً دون أن يمثلها شكل تنظيمي معين.

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾

[آل عمران:١٠٢، ١٠٣]

فالأمر بالوحدة في الآيات والنهي عن الفرقة فيها، جاء بأوضح بيان لا يبقي أدنى شبهة لمجادل في فرضية الوحدة.

وهذا الفهم من كتاب الله تعالى ليس بعيداً عن كبد الحقيقة. فلقد وضح النبي ﷺ صحة هذا الفهم عندما أرشدنا إلى أن من يمت وهو مفارق لجماعة المسلمين، أي وهو غير منضو تحت لواء الوحدة الإسلامية فهو من الحزب الآخر الذي يؤمن بأهداف أخرى.

شكل الوحدة الإسلامية: فرض الله تعالى على المسلمين أن يعتصموا بحبل الله. وأن يقيموا الوحدة بينهم. أما شكل الوحدة فإن الإسلام لا يهتم كثيراً بالشكليات ما لم تخف وراءها مضمونا يمنعه الإسلام. فهل تكون الوحدة في شكل الخلافة؟ هل تكون في صورة الجمهورية؟ هل تكون في صورة اتحاد لدول إسلامية؟ هل تكون في

غير هذه الأشكال؟ إن مرد ذلك إلى الشورى، فالمسلمون من حقهم أن يختاروا الشكل المحقق لوحدتهم المعبر عن إخوتهم، القائم على تعاونهم في جميع المجالات.

إن معنى الوحدة الإسلامية هو الذي نريده وهو غايتنا، وهو أن نعتبر أنفسنا مهما تناءت الديار مرتبطين بروابط وثيقة تمتد جذورها في أعماق أنفسنا»[1] بمعنى أن يكون ولاء كل فرد فينا للإسلام قبل أن يكون لأى معنى آخر.

خطوات تنفيذ الوحدة الإسلامية: إذا كانت النظرة فيما عليه المسلمون من تفرق وتقاطع وتدابر ـ حتى ليستعين بعضهم بالأجنبي ضد إخوته ـ إذا كانت النظرة في أحوال المسلمين هذه تجعل حديثنا هذا أقرب إلى الخيال منه إلى الواقع، إلا أن المؤمن لا يفقد الأمل في الإصلاح ولا يلقى من يده السلاح قط، وبخاصة إذا علمنا أننا لم نكلف إلا بالأخذ بالأسباب وبذل الجهد وصدق النية، والباقي كله على القوى القادر الذي لو شاء لهدى الناس جميعا. فمن هذا المنطلق نتحدث عن خطوات تنفيذ الوحدة الإسلامية.

إن هذه الخطوات يمكن ترتيبها فيما يلي:

١- الدعوة إلى الإسلام في الأقاليم الإسلامية وتبصير المسلمين بحقيقة دينهم.

٢- إعلان الولاء للإسلام في بلاد الإسلام، وشجب أي ولاء لأي مذهب يناوئه. فالأمم الجادة لا تسمح لمذهب يعارض مذهبها أن ينازعه السيادة على قلوب مواطنيها.

(١) الإمام محمد أبو زهرة، الوحدة الإسلامية، دار الرائد العربي، بيروت، بدون رقم ط أو تاريخ، ص٢٤٣ .

٣- خلع النفوذ الأجنبي وشجب الولاء القائم بين حكام المسلمين ودول الشرق والغرب، وتحويل ولائهم للإسلام والدول الإسلامية، يقول الله تعالى ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾

[آل عمران:٢٨]

٤- التنادي إلى تجمع إسلامي أو اتحاد إسلامي وتخويله صلاحيات الحكومة الأعلى فوق الحكومات الإسلامية، وطبقا لما يتفق عليه من شكل.

٥- يقوم هذا التجمع برعاية مصالح المسلمين في العالم أجمع ويعمل على نشر الخير وتحقيق صالح الإنسانية.

٦- تحقيق الوحدة الاقتصادية، والتي تمر بالسوق المشتركة، ثم التكامل الاقتصادي، لتنتهي بالوحدة الاقتصادية.

الوحدة وضرورتها لتحقيق التنمية: من العجيب أن تمنح جماعة كل مقومات التقدم والنمو فإذا هي تلقى بها وراءها ظهريا ثم تجرى هنا وهناك تتسول ما يعينها على تحقيق التقدم، أو يساعدها على الخروج من تخلفها الذي ترزح تحته، وأعجب منه أن ما يقدم لهذه الجماعة المتسولة لا يقارن إطلاقا بما لديها. وفي أحسن الفروض يقدم لها بعض ما لديها، فإن قيل لها أن ضالتك بين يديك، أشاحت بوجهها وولته شطر الغرب أو الشرق تستورد منه ما يضرها ولا ينفعها، ما يؤخرها ولا يقدمها.

إن ذلك هو حال الأمة الإسلامية، لديها من المناهج أقومها، ومن النظم أسلمها، ومن الأدوات أكثرها فعالية، بيد أنه ران على قلوب أبنائها ما كانوا يكسبون.

إن إحدى حقائق هذا العصر هي أن الشظيات الدولية لن تستطيع أن تعيش في عالم الدول العملاقة بنفسها أو بتكتلاتها، وأنه لا بقاء لها إلا إذا تجمعت ووحدت قواها. وتدرك الشعوب الإسلامية هذه الحقيقة وتوافق عليها، وتحاول أن تحققها،

لكنها عند المحاولة تضل الطريق، فمنها من يسعى إلى التكتل على أسس عرقية، ومنها من يسعى إلى التكتل على أسس جغرافية، وبعضها يفضل التكتل على أسس ثورية. وجميع هذه التكتلات. كما يشهد بذلك الواقع. تمثل قبض الريح ولا تجدي هذه البلاد فتيلا، فهي تعاند بها واقعها، ويغيب عنها أن هذا المجتمع إنما وجد على أساس الإسلام، ولن يستعيد مجده إلا على نفس الأساس. فلا توجد فكرة تستطيع أن تجمع العالم الإسلامي. أو بعض مناطقه. إلا الفكرة الإسلامية. ولقد حاولت الدول العربية أن تتجمع على الأساس العرقي وتحت لواء القومية العربية فما أجداها ذلك شيئا.

وأملنا الآن. فإن المسلم لا ييأس. هو في عودة الأمة الإسلامية إلى دينها وتنفيذ فريضة الوحدة الإسلامية بما تعنيه في الجانب الاقتصادي من تكامل بين البلاد الإسلامية الذي لا غنى عنه لتحقيق التنمية شئنا أم أبينا، وإن لم نحققه مع الدول الإسلامية في ظل الاستقلال، حققناه مع الدول الرأسمالية في ظل التبعية لها. ذلك أن أي تنمية خارج الدول العملاقة لابد من أن تتم عن طريق التكامل مع جهة ما. فنحن إن أردنا التنمية باستيراد المنهج الرأسمالي. رغم أنه لم يحققها. اضطررنا إلى تحقيق التكامل مع العالم الرأسمالي والتبعية له، والتبعية نوع من التكامل، فلا بديل أمامنا إلا الوحدة الإسلامية، والتكامل الاقتصادي بين بلاد الإسلام.